

وقفات إيمانية ودراسة تربوية
لأمين الأمة المحمدية

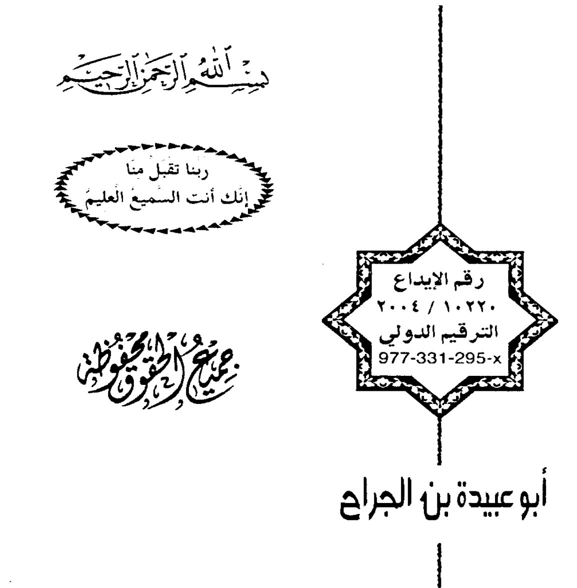
أبو عبيدة بن الجراح

جمع وترتيب
مصطفى دياب

راجعها وعلق عليها
دكتور ياسر برهامي







بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

رقم الإيداع
١٠٢٢٠ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولي
977-331-295-x

أبو عبيدة بن الجراح

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له؛ شهادة أدخرها نجاة من عذاب الحفرة .

وبعد..

فإن التاريخ زاخرٌ بالأحداث العظيمة التي تفخر بها الأمم، كما أنه غنيٌّ كذلك بالرجال الأفذاذ الذين يمثلون عظمة الإسلام وكيف أنه ربى هؤلاء الأعلام الذين جمعوا الفضائل وتنزهوا عن الرذائل، فهم خير أمة أخرجت للناس ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

هم ذلك الجيل الذي تفتخر البشرية بنسبته إليها، الجيل الذي ضرب أروع الأمثلة في الجهاد والبذل والدعوة والشجاعة والكرم والمروءة والصبر، الجيل الذي تربى بالإسلام، فقاموا بدين الله عز وجل، وقام بهم دين الله عز وجل، وكان كل صحابي منهم أنموذجًا فريداً، فظهرت

فيهم عظمة الإسلام وما يفعله في النفوس البشرية، وكيف لا يكون كذلك وهو منهج الله الذي ارتضاه لعباده، فبأمثال مصعب بن عمير وحمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن رواحة والبراء بن مالك ... وغيرهم كثير؛ بأمثال هؤلاء يُمَكِّنُ اللهُ لعباده المؤمنين وينزل نصره على المخلصين.

وفي دراسة سيرهم فوائد عظيمة؛ فمنها تتبع آثارهم ليقتدي بهم من خلفهم، فيقرأ سِيَرهم من لم يُعاين صورهم، ويشاهد محاسنهم من لم يُعاصرهم، فيعرف مناصبهم ومراتبهم فيَجِدُ في الطلب ليلحق بالركب، ويتمسك بهديهم.

فما أحوجنا في هذه الأزمنة الغابرة المتأخرة أن نُعطر مجالسنا ونُشَرِفُ أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا بسيرتهم عسى أن تنهض منَّا الهمم للتأسي بهم أو نُرزقُ محبتهم في الدنيا فنسعد بصحبتهم في الآخرة.

«فالمرء مع من أحب يوم القيامة»

أبو عبيدة بن الجراح

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمدٍ بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

كان أبو عبيدة بن الجراح وضيء الوجه، بهيَّ الطلعة، نحيل الجسم، طويل القامة، خفيف العارضين، ترتاح العين لمرآهُ، وتأنس النَّفسُ لِلُقياه، ويطمئن إليه الفؤادُ..

وكان إلى ذلك رقيق الحاشية، جمَّ التواضع [١]، شديد الحياء، ولكنه كان إذا حزب الأمرُ [٢] وجدَّ الجدُّ يغدو كأنه الليثُ عاديًا، فهو يُشبه نصل السيف رونقًا وبهاءً، ويحكيه [٣] حدةً ومضاءً..

ذلكم هو أمين أمة محمد ﷺ عامر بن عبد الله بن الجراح الفهريُّ القُرشيُّ، المُكَنَّى بأبي عبيدة، نَعَته عبد الله

(١) **جم التواضع**: كثير التواضع.
(٢) **حزب الأمر**: اشتد الأمر.
(٣) **يحكيه**: يماثله.

ابن عمر ﷺ فقال: «ثلاثة من قريش أَصْبح الناس وجوهًا، وأحسنها أخلاقًا، وأثبتها حياءً، إنْ حدَّثوك لمْ يكذبوك وإنْ حدَّثتهم لمْ يُكذِّبوك [1]: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح».

عُرف أبو عبيدة ﷺ كقائدٍ فذٍ، ومع هذه الشهرة التي اكتسبها فقد طغت عليه شهرةُ خالد بن الوليد ﷺ؛ وذلك لاتزان أبي عبيدة وهدوئه وترويه، وحركيَّة خالد وإقدامه، مع اعتراف خالد لأبي عبيدة بالفضل والقدرة والشجاعة والقوة.

لقد اختلفت طبيعة أبي عبيدة القتالية عن طبيعة خالد، إذْ كان خالدٌ كثير الحركة، سريع التنقل، يُحسن المناورة في القتال، ويُجيد خداع العدو في الحرب، على حين كان أبو عبيدة ثابتًا في مكانه لا يزحزحه منه جيشٌ كامل، ويتحرك نحو هدفه بهدوء وتخطيط وإذا تقدّم لا يتراجع ولو حاولت دحره فرقة كاملة.

وهذه الطبيعة هي التي أبرزت خالداً وأعطته شهرته

(١) **لم يكذبوك**: لم يكذبوا عليك.

وخاصة لدى الشباب أصحاب العاطفة الجياشة الذين يحبون كثرة الحركة والإقدام في كل الميادين، وخاصة ميدان القتال.

إسلامه:

سمع أبو عبيدة بن الجراح ﷺ همسًا يدور في مكَّة بين عدد من سادتها، مضمونه أنَّ محمداً بن عبد الله أصبح نبيًا وصاحب رسالة، فانطلق عامر بن الجراح ﷺ إلى دار أبي بكر الصديق ﷺ فلقيه واستفسر منه في مجلس طويل جمعهما، فبيّن له الصديق حقيقة الدعوة وسر الرسالة التي ما زالت في مهدها، فعدد الذين دخلوا في دين محمد ﷺ ما يزال قليلاً، وتواعد الرجلان على لقاء محمد ﷺ في اليوم التالي، وكان الرسول ﷺ لم يدخل دار الأرقم بن أبي الأرقم بعد.

وفي اليوم التالي وجد أبو عبيدة عدداً من الرجال يقصدون مقصده ويطلبون لقاء محمد ﷺ، وقد اتفق الجمع على سرية اللقاء؛ لأن الدعوة ما زالت سراً.

خرج أبو عبيدة ﷺ في جنح الظلام ومعه عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد ﷺ حتَّى أتوا رسول الله ﷺ . .

عرض الرسول ﷺ حقيقة دينه السامي ودعوته المباركة، وامتدت الأيادي المباركة، واشرأبَّت النفوس الطاهرة، وتاقت الأفئدة وهوت إلى دين الله، فكان الفوج الأول الذي نطق الشهادة أمام رسول الله ﷺ هو أبو عبيدة وأصحابه، وصافحت الأيادي رسول الله ﷺ ، وكل منهم قال: «أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله» ، فكانوا القواعد الأولى التي أُقيم عليها صرح الإسلام العظيم.

فاغتبط الرسول ﷺ وانشرح صدره لانضمام هذه الكوكبة إلى ركب الإيمان، وانتظامها في رحلة الخير، وبناء الدعوة المباركة.

ومضى الرجال كل إلى غايته، يقصد داره، ويستعيد حديث محمد ﷺ عن الدين المبارك الجديد.

ولم يخفَ الخبر عن أهل أبي عبيدة ﷺ، وتعارض إسلامه مع رغبة أبيه، وبدأت بين أمين الأمة وأهله حربًا لا هوادة فيها، وحاولوا أن يثنوه عن إسلامه، وقاوموه مقاومة عنيفة فلم يتراجع، ولم يتردد، ولم يساوره شك فيما فعل، ووصل الأمر إلى حد المقاطعة، فلم يعر بالاً ولم يأبه، واشتد أهله عليه، ولم يتركوا شيئًا يثنيه عن الإسلام إلاً وقد فعلوه، إلاً أنه تماسك ولم يضعف؛ فقد كان أبو عبيدة قوي الإيمان، مخلص القلب، صفي النفس؛ فلم يتأثر بتهديد أبيه، وبوعيد أهله.

وحاولت قريش زيادة الضغط ليرجع أبو عبيدة عن الدخول في دين محمد ﷺ، فجعل الأشراف منهم يعيرون «عبد الله بن الجراح» والده، يقولون له: إن ولدك أبا عبيدة دخل في دين الإسلام، وخالف أمرك، واتبع محمداً في دينه الذي يخالف دين آبائنا وأجدادنا، فماذا أنت صانع به؟!.

صبر واتباع:

ومنذ أن أسلم أبو عبيدة خلع كل ما ورثه من مخلفات الجاهلية ، ومع طبعه الهادئ وصمته الدائم لم يلفت النظر

إلى ما أصابه من أذى في سبيل إسلامه؛ فقد كان يُنفذ تعاليم الإسلام بشكل دقيق ويتقيد بأوامر رسول الله ﷺ بصورة تامة، وكان يتلقى بأدب ويتصرف بحدود ما أُمِرَ به، ويُنفق بصمت ويساعد بهدوء.. يكون أول المتطوعين، وأسبق المنفذين، همه الطاعة وحياته الإسلام، وما عدا ذلك فلا يبالي به..

لذا فقد عاش أبو عبيدة تجربة المسلمين القاسية في مكة منذ بدايتها إلى نهايتها، وعانى مع المسلمين السابقين من عنفها وضراوتها وآلامها وأحزانها ما لم يعانه أتباع دين على ظهر الأرض، فثبت للابتلاء (١) وصدق الله ورسوله في كل موقف..

لكنَّ محنة أبي عبيدة يوم بدر فاقت في عنفها حسبان الحاسبين وتجاوزت خيال المتخيلين.



(١) **الابتلاء** : الاختبار .

يوم بدر

انطلق أبو عبيدة يوم بدر يصول بين الصفوف صولة من لا يهابُ الردى؛ فهابه المشركون، ويجول جولة من لا يحذرْ الموت؛ فحذِره فرسان قريش، وجعلوا يتنَّحَّون عنه كلما واجهوه ، لكن رجلاً واحداً منهم جعل يبرزُ لأبي عبيدة في كل اتجاهٍ، فكان أبو عبيدة يتحرَّف [١] عن طريقه ويتحاشى لقاءه [٢]، ولجَّ الرجل في الهجوم، وأكثر أبو عبيدة من التَّنحي، وسدَّ الرجل على أبي عبيدة المسالك، ووقف حائلاً بينه وبين قتال أعداء الله، فلمَّا ضاق به ذرعًا[٣] ضرب رأسه بالسيف ضربةً فَلَقَت هامته فلقتين، فخرَّ الرجل صريعًا بين يديه .

لا تُحاول – أيها القارئ الكريم – أنْ تُخمّن من يكون الرجل الصريع . .

ولقدْ يتصدَّع رأسك إذا عرفت أن الرجل الصريع هو

(١) **يتحرَف عن طريقه** : يتنحّى عن طريقه .
(٢) **يتحاشى لقاءه** : يتجنب لقاءه ويتوقاه .
(٣) **ضاق ذرعًا** : لم يستطع صبرًا .

عبد الله بن الجراح والدُ أبي عبيدة . . نعم والدُ أبي عبيدة، لم يقتل أبو عبيدة أباه، وإنَّما قتل الشرك في شخص أبيه .

وانتهت غزوة بدر بانتصار المسلمين انتصارًا ساحقًا وهزيمة المشركين هزيمة منكرة، وشاع بين المسلمين أن أبا عبيدة قتل أباه المشرك، فقال أبو عبيدة : «والله ما قتلته ولكن الله قتله» .

قال رسول الله ﷺ : «**لا يُؤمن أحدكم، حتَّى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»، ولما بلغ النَّبي ﷺ خبر قتل أبي عبيدة أباه قال : «**إنَّ أبا عبيدة أمين في الأرض، مأمون في السماء**» .

ونزل قول الله تعالى يُقرُّ عين الصحابيَّ الجليل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، قال عز وجل: ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)** ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

لم يكن ذلك عجيبًا من أبي عبيدة، فقد بلغ من قوة إيمانه بالله ونصحه لدينه، والأمانة على أمة محمد ﷺ مبلغًا طمحت إليه نفوسٌ كبيرة عند الله .



أمين الأمة

قال رسول الله ﷺ : «**لكلِّ أمة ٍ أمين وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**».

حدَّث محمد بن جعفر، قال: قدم وفدٌ من النصارى على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا ليحكم بيننا في أشياء من أموالنا اختلفنا فيها، فإنكم عندنا معشر المسلمين مرضيون، فقال رسول الله ﷺ : «**ائتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين**».

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فرُحتُ إلى صلاة الظهر مبكراً، وإني ما أحببت الإمارة حبي إياها يومئذ؛ رجاء أن أكون صاحب هذا النعت.

فلما صلَّى بنا رسول الله ﷺ الظهرَ، جعل ينظرُ عن يمينه وعن يساره، فجعلت أتطاول له ليراني، فلمْ يزلْ يُقلِّب بصَره فينا حتَّى رأى أبا عبيدة بن الجراح، فدعاه فقال: «**اخرج معهم فاقضِ بيهم بالحق فيما اختلفوا فيه**»

فقلت: ذهب بها أبو عبيدة.

أخي الحبيب، ولم يكن أبو عبيدة ﷺ في يوم من الأيام راغبًا في زعامة أو سلطان، لقدْ كان أمرُ الدنيا هينًا على أبي عبيدة، فلمْ يرغبْ في الإمارة، ولم يعمل لها، ولا يريدُ المنازعة في أمرٍ لا يعود على المسلمين بخير ولا يتوقف عليه حكمٌ..

لقد صغُرَتْ الدنيا في عينيه؛ فعظُم في أعين الناس.



القوي الأمين

ولم يكن أبو عبيدة أمينًا فحسب، وإنما كان يجمع القوة إلى الأمانة، وقد برزت هذه القوَّة يوم بعثَ الرسول ﷺ جماعةً من الصحابة يتلقون عيرًا لقريش، وأمَّر عليهم أبا عبيدة ﷺ جميعًا، وزودهم جرابًا من تمرٍ لم يجد لهم غيره.. فكان أبو عبيدة ﷺ يُعطي الرجل من أصحابه كل يوم تمرةً، فيمصها الواحد منهم كما يمصُّ الصبي ضرع أمِّه ثم يشربُ عليها الماء فكانت تكفيه يومه إلى الليل.

وقد اضطر أفراد هذه السرية إلى أن يأكلوا ورق الشجر وهوما يعرف بالخبط؛ إذ ينفض بالمخابط ويجفف ويُطحن؛ لذا سميت هذه السرية: «سرية الخبط»، وكان عمر بن الخطاب أحد أفراد هذه السرية.



يوم أحد

وفي يوم أُحُد حين هُزِمَ المسلمون وطفق صائح المشركين ينادي: دلوني على محمد ... دلوني على محمد ، كان أبو عبيدة أحد النفر العشرة الذين أحاطوا بالرسول ﷺ ليذودوا عنه [١] بصدورهم رماح المشركين .

فلما انتهت المعركة كان رسول الله ﷺ قد كُسِرَت رباعيته[٢] وشُجَّ جبينه، وغارت في وجنته ﷺ حلقتان من حلق درعه، فأقبل عليه الصديق يريد انتزاعهما من وجنته، فقال له أبو عبيدة : «**أُقسم عليك أن تترك ذلك لي**» ، فتركه ، فخشي أبو عبيدة إن اقتلعهما بيده أن يؤلم رسول الله ﷺ ؛ فعضَّ على أولاهما بثنيته [٣] عضًا قويًا محكمًا فاستخرجها ووقعت ثَنِيتُهُ، ثمَّ عضَّ على الأخرى بثنيته الثانية فاقتلعها فسقطت ثَنيتُهُ الثانية . .

قال أبو بكر ﷺ : «فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتمًا [٤] » .

---

(١) **ليذودوا عنه** : ليدافعوا عنه .

(٢) **الرباعية** : السن التي بين الثنية والناب .

(٣) **الثنية** : جمعها ثنايا وهي أسنان مقدم الفم .

(٤) **الأهتم** : من انكسرت ثناياه .

لم يتخلَّف ولم يتأخر

لقد شهد أبو عبيدة مع رسول الله ﷺ المشاهدَ كلها منذُ صحبَهُ إلى أن وافاه اليقين (١) ، ولم يكن أبو عبيدة رضي الله عنه في يوم من الأيام راغبًا في زعامة أو سلطان، وقد تجلَّى إيثاره العظيم بعد وفاة الرسول ﷺ ، فجنَّد نفسه مجاهداً في سبيل دعوة محمد ﷺ .

فلمَّا كان يوم السقيفة (٢) وقف أبو عبيدة رضي الله عنه موقفًا رائعًا حين احتدم النقاش بين المهاجرين والأنصار، وقف خطيبًا في الأنصار، وقال لهم: « يا معشر الأنصار، كنتم أول من آزَرَ ونصر، فلا تكونوا أول من بدَّل وغيَّر» .

وكانت هذه الكلمات القوية هي فيصل اللقاء، فأعادت الرشد بهدوء إلى قلوب الأنصار.

وأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيد أبي عبيدة وبيد عمر، وقال: « قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيَّهما شئتم »

---

(١) **وافاه اليقين** : جاءه الموت .

(٢) **يوم السقيفة** : يوم بيعة أبي بكر، فقد تمت في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة النَّبي ﷺ .

فقالا: «لا ينبغي لأحدٍ بعدَ رسول الله ﷺ أن يكون فوقك يا أبا بكر؛ أنت صاحب الغار مع رسول الله ﷺ وثاني اثنين، وأمَّرَكَ رسول الله ﷺ حين اشتكى فصليتَ بالناس بهذا الأمر»، فأخذ عمر بيد أبي بكر وبايعه، وتسابق الناس على البيعة .

فكان أبو عبيدة رضي الله عنه خير نصيحٍ في الحق، وأكرم معوانٍ له على الخير، ومن هذا أنَّ عليًا رضي الله عنه كان قد تخلَّف عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ، فذهب إليه أبو عبيدة، وقال له بلطفٍ وهدوءٍ وبشاشة: «يا ابن عمٍّ، إنَّك حديث السنِّ، وهؤلاءِ مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلاَّ أقوى على هذا الأمر، وإنك إنْ تعشْ ويَطُلْ بك بقاءٌ فأنت لهذا الأمر خليقٌ وحقيقٌ بفضلك ودينك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك» .

بهذه الكلمات الرائعة تحدَّث أبو عبيدة رضي الله عنه وجاء رد علي رضي الله عنه عظيماً أيضًا، قال علي لأبي عبيدة رضي الله عنهما : «لن ترَ مني إلاَّ ما يسر، ولن يرَ مني أبو بكر إلاَّ ما يرضيه» .



يوم اليرموك

تولي أبو بكر الخلافة:

تولى أبو بكر ﷺ خلافة المسلمين بعد رسول الله ﷺ ، فواصل الفتوحات الإسلامية التي بدأها النَّبي ﷺ ، وقد أرسل أبو بكر أربعة جيوشٍ لفتح الشام، على كل جيش منها أمير، وأمَرَ أن يكون أبو عبيدة على الجيوش الأربعة أميرًا عامًا.

وانطلق كل جيش إلى جهة من جهات بلاد الروم، ثم بدأ القتال بين الروم والمسلمين ، ورأى المسلمون أن جيش الروم عظيم العدد، فقد بلغ تسعين ألفًا، بينما لم يكن جمعهم يزيد على واحد وعشرين ألفًا، سوى ستة آلاف هي في الطريق مع عكرمة بن أبي جهل ﷺ ، وقد جاءوا معه من تهامة وعمان والبحرين.

عند ذلك بعث أبو عبيدة إلى أبي بكر ﷺ يصف له جيش الروم، ويطلب منه إرسال مدد آخر من الجنود.

وفي ذلك الوقت أرسل أبو بكر ﷺ إلى خالد ﷺ

يأمره بالتوجه إلى الشام لنجدة جيش أبي عبيدة، وقال للناس عندما جاءته أخبار الروم وجيوشهم الكثيرة العدد والعدة: « والله لأُنسين الروم وساوس الشياطين بخالد بن الوليد » ، وكتب أبو بكر رضي الله عنه كتاباً إلى خالد رضي الله عنه وهو بالحيرة، وقال فيه:

« سرْ حتَّى تأتي جموع المسلمين باليرموك، ولتهنأك - أبا سليمان - النية والحظوة، فأتمم يُتمم الله لك، ولا يدخلنك عُجبٌ فتخسر وتُخذل، وإيَّاك أن تُدل العمل، فإن الله عز وجل له المن وهو ولي الجزاء » .

خمسة أيام في الصحراء:

قطع خالد بن الوليد رضي الله عنه بجيشه طريقًا وعراً يسمى: « صحراء السماوة »، وهو شديد الخطر؛ لقلة الماء فيه، ورغم تحذير الناس له من وعورة الطريق ، فقد مضى لا يلوي على شيء، فقطعه في خمسة أيام..

وكتب أبو بكر إلى أبي عبيدة رضي الله عنهما يقول له: « بعثتُ إليك بخالد بن الوليد لنجدتك ودحر جيوش الروم ، وجعلته أميراً على الجيش كله، فكنْ له مطيعًا ولا تُخالفه

في شيء، واعلم أنني لم أُوَلِّ خالداً إمارة الجيش لأنه أفضل منك عندى، كلاً .. ، ولكني أعرف أن له معرفة بأساليب الحرب ليست لك، فتوكَّل على الله، وتعاونا في الجهاد، والله لنا ولكما خير معين» .

خالد بن الوليد يقود الجيوش:

تحت إمرة خالد بن الوليد ﷺ بدأت معركة اليرموك بين جيوش المسلمين، وبين جيوش الروم، وقد أمر عليهم هامان، وكان أبو عبيدة قائداً لأحد الجيوش في هذه المعركة، وأبلى فيها بلاء حسنًا، وأثناء التحام الجيوش والمعركة على أشدها مات أبو بكر الصديق ﷺ وتولَّى عمر بن الخطاب ﷺ خلافة المسلمين بعد أبي بكر ﷺ، وكتب عمر إلى أبي عبيدة ﷺ يقول: «انتقل أبو بكر إلى رحمة الله، وقد أمرتُ بعزل خالد بن الوليد عن إمارة الجيوش، وعليك أنت يا أبا عبيدة أن تتولى الإمارة؛ فأبلغ خالداً بما أمرتُ به، والسلام عليك» .

لقد كان عمر ﷺ حريصًا على عقيدة الناس وصلاح قلوبهم؛ ولذا خشي أن يُعلق الناس النصر بخالد وتنحرف

قلوبهم عن التوجه لله تبارك وتعالى، كما كان يخاف على خالد ﷺ أن يدخله عجب أو غرور فيهلك الجيش ويهلك خالد ﷺ .

لقد بلغ خالد في قلب عمر منزلة عظيمة ، فقد قيل لعمر: لو عهدت يا أمير المؤمنين. قال: «لو أدركت أبا عبيدة ثم وليته ثم قدمت على ربي، فقال لي: لم استخلفته؟ لقلت: سمعت عبدك وخليلك يقول: «**لكل أمة أمين وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة**» ، ولو أدركت خالد بن الوليد ثم وليته فقدمت على ربي لقلت سمعت عبدك وخليلك يقول: «**خالد سيف من سيوف الله، سله الله على المشركين**» .

أخي الحبيب: ما أرق هذه القلوب! وما أعمق علومها! وما أكثر تقواها وخشوعها! وما أروع تجردها لله وحبها!..

لقد نال خالد من مدح القوم ما نال، وهو له أهل ، ها هو عمرٌ الذي عزله يقول فيه: «عجزت النساء أن يلدْنَ مثل خالد»، وهذا خالد القائد المعزول يوصي عند موته بخيله وسلاحه لعمر في سبيل الله.

أرأيت كيف كان حبُّ عمر لخالد وخوفه عليه، إنَّ مثل

خـالد لا يُبـكى بدمع العين، بل يُبكى بقطْر الدم، إنَّ عـزل خالدٍ الآن خيرٌ له ولجيش المسلمين.

الأمين يكتم السر:

وفي هذا الموقف تجلَّت حكمة أمين الأمة، فقد برهن أبو عبيدة ﷺ على أنه أمين هذه الأمة كما سماه رسول الله ﷺ، فاعتزم إخفاء الأمر؛ حرصًا على نصر المسلمين وفوزهم في المعارك الدائرة، وقدْ قدَّر أبو عبيدة ما سيكون لهذا الخبر من وقعٍ سيءٍ على معنويات الجيش، ومن ناحية أخرى فقد كان هاجس غضب الخليفة وعصيان أمرِه يُؤرق أمين الأمة، إلاَّ أنَّ مصلحة المسلمين اقتضت هذا الموقف ولو مؤقتًا، ولم يتأتَّ ذلك من فراغ؛ فقد كان أبو عبيدة ﷺ بعيد النظر فيما يراه، مؤمنًا بأنه سليم العقيدة والاعتقاد؛ لذلك فقد اقتنع بأنَّ وجود خالد على رأس الجيش في هذه الظروف العصيبة عاملٌ أساسي في تحقيق النصر المرتقب إن شاء الله.

ومما ساعد على اقتناع أبي عبيدة وجوده وسط الميدان واطلاعه عن قرب بالموقف العسكري هناك، ووَقْعُ أي أخبار سيّئة على الجنود.

وانتهى به الأمر إلى كتمان هذا السر، وجعل خبر عزلِ خالد في طيٍّ الكتمان حتَّى يجيء وقته المناسب.

وخاضت جيوش المسلمين معارك الفتح العظيم في اليرموك، تحت قيادة خالد بن الوليد، وبإمرته أربعة من القادة العظام همْ: عمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان، وشُرَحْبيل بن حسنة، وأبو عبيدة بن الجراح ﷺ أجمعين.

وكان النصر حليف المسلمين، فقد قاتل المسلمون ببراعة شديدة؛ فزحف خالد ﷺ حتَّى تصافحوا بالسيوف، ونهض خالد رضوان الله عليه للروم، ونادى في المسلمين: «من يبايع على الموت؟».

فبايعه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور ﷺ في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، مما أشعل الحماسة في كتائب الجيش كله؛ فنشب القتال عنيفًا، وفي ذلك اليوم العظيم أبلى المسلمون وفرسانهم بلاء حسنًا، وقاتلوا قتالاً رائعًا، حتَّى النساء كان لهن نصيب؛ يقمن بسقي الجند، ومداواة الجرحى.

وأصيب من وجوه المسلمين ثلاثة آلاف، قتلوا جميعًا إلاَّ

من برأ منهم، واستشهد ممن استشهد يوم اليرموك: عكرمة بن أبي جهل وابنه عمرو بن عكرمة ﷺ فجعل خالد يمسح وجوههما ويقطر الماء في حلقهما.

وانتهت المعركة بنصر مظفر للمسلمين، ولكن خالداً لم يهدأ له بال؛ فقد اتجه فكره وجهده إلى فتح دمشق وهي آخر حصن للروم في الشام، كما أنها عاصمتهم، وكان لابد من التشاور بين القادة.

وظل أبو عبيدة كاتمًا للسر إلى أن يشاء الله..



فتح دمشق

في غرفة القيادة:

وبعد مشاورة الرجال وقادة الجيوش، وضع خالد بن الوليد خطته الرائعة لمهاجمة مدينة دمشق، ولا شك أنَّ كل هذه الخطط الرائعة والروح العالية لقائد جيش المسلمين جعلت أبا عبيدة يتروَّى في إبلاغ قرار العزل .

وانفضَّ الاجتماع واتفَّق القائدان على أن يُهاجم المدينة أبو عبيدة من الجانب الشرقيّ وهو جانب مفتوح، وأن يهاجمها خالد من الجانب الغربي وهو الجانب المحصّن.

ونفَّذ القائد الفذُّ خطَّته بإحكام، فتسلَّق الجنود سور المدينة وعبر المشاةُ الخندق، وحَطَّموا الأسوار ودخلوا المدينة من الجانب الغربي، كما دخلها أبو عبيدة من الجانب الشرقي، والتقى الرجلان في ضواحي دمشق، وهنَّأ أبو عبيدة خالداً بالنصر؛ فحمد الله وأثنى عليه، وشكر نعمته وفضله .

وحان وقت الرسالة :

وحان وقتُ الرسالة، وتذكَّر أبو عبيدة أنَّ الوقت أصبح مناسبًا لإبلاغ خالد ﷺ بأخبار العزل، فتحيَّن الوقت المناسب، فتوجَّه إلى خيمة خالد بن الوليد، وألقى عليه سلام الأخوة ثم أردف أبو عبيدة قائلاً: «هناك سرٌّ ما كُنْتُ لأُفضي إليك به لولا أنه أمرٌ من أمير المؤمنين، وقد بايعنا على الطاعة، ومن يُؤمِّره علينا أيضًا فله منَّا الطاعة . . » .

فقال خالد : «هات سرك يا أبا عبيدة» .

قال أبو عبيدة : «أرسلك أبو بكر أميرًا للجيوش في بحر الروم بدلاً مني، وقد كان اختياراً موفقًا رائعًا، وقد مات أبو بكر وتولَّى بعده عمر بن الخطاب . . » .

فقال خالد : «يرحمُ الله أبا بكر فقدْ كان أحبَّ النَّاس إليَّ، والحمد لله الذي ولَّى عمر» .

ثم سكت أبو عبيدة، فقال خالد : «وماذا بعد يا أبا عبيدة؟» .

فأجاب أبا عبيدة قائلاً : «بعد أن تولَّى عمر خلافة المسلمين، كتب إليَّ كتابًا يأمرني فيه أن أعزلك عن إمارة الجيوش، وأن أتولاها مكانك» .

فقال خالد : « يرحمك الله يا أبا عبيدة، ولِمَ لمْ تُخبرني حالما وصلك كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » .

فقال أبو عبيدة : « لقدْ خشيتُ على خططك في الحرب، وخِفْتُ أن أُفسدَهَا، وقد انتصرنا بفضل الله ثم بفضل ذكائك وخبرتك في القتال » .

قال خالد : « جزاك الله عني خيرًا ، واعلم يا أبا عبيدة أني جنديٌّ من جنودك، ويتساوى الأمرُ لديَّ سواء أكنت أميرًا للجيوش أو جنديًا فيها، ووالله ما للدنيا نعمل ولا سلطان الدنيا نريد، كلنا في الله إخوة » .

وأضاف خالدٌ قائلاً : « أنا لا أقاتل من أجل عمر » .

رحم الله أبا عبيدة ؛ فقد كان مثالاً للإيثار، وقدوة عظيمة، ورضيَ اللهُ عن خالد ؛ فقد كان مثالاً للشجاعة والتواضع، وقدوةً طيبة لكل جندي من جنود المسلمين، ورضي الله عنهما فقد قدَّما درسًا لكل قادة المسلمين في كل زمان ومكان .

وتوجَّه أبو عبيدة لفتح فلسطين .



فتح فلسطين

انطلق أبو عبيدة متوجهًا إلى فلسطين، وحاصر بيت المقدس، ثمَّ طلب من الحاكم أنْ يستسلم دون قتال، وبعد وقت قصير وافق أهل مدينة القدس على دخول المسلمين مدينتهم ، على أن يعقد المسلمون معهم معاهدة أمنٍ وسلامٍ، تضمنُ لهم حقوقهم المدنية والدينية بعد الفتح.

وافق أبو عبيدة ﷺ على الصلح، إلاَّ أنَّ أهل المدينة اشترطوا أنْ يكون الصلح بينهم وبين أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﷺ شخصيًا؛ لِمَا عُرف عن عمر ﷺ من عدلٍ وزهدٍ، وتمسكٍ بالحق.

عند ذلك كتب أبو عبيدة ﷺ كتابًا إلى أمير المؤمنين يعرضُ عليه شرط أهالي القدس ودعوتهم له بالحضور لفتح القدس، وكتابة اتفاقية الصلح والأمان.

وقبل عمر الدعوة، وغادر المدينة مع نفرٍ من أصحابه قاصدين بيت المقدس، وهناك استقبله أبو عبيدة قائد الجيوش، وقد وصل عمر راكبًا جملاً، مرتديًا جلبابًا مرقعًا،

وفي رجليه نعلٌ سميكٌ دون غطاء يُمسك رجليه بسيور وخيوط من الجلد الغليظ.

واستُقبلَ عمر عند قرية الجابية القريبة من دمشق، استقبله رجال القيادة في الجيش، ووجهاء الشام، وقد خرجوا على ظهور الخيل يرتدون الملابس الفاخرة، فلما رآهم عمر ﷺ على هذه الحال قال:

«أهكذا تُقابلون أمير المؤمنين، وأنتم في ترف الأعاجم وأُبهتهم؟! لقد أفسدتكم الفتوحات، وأفقدكم المال مظاهر المسلمين، وغيرَّ نفوسكم ما أنتم فيه من ترف ونعيم، لقدْ نسيتم عفَّة الإسلام وغفلتم عن اتباع سنة نبيكم الكريم ﷺ» ثم أشاح عنهم غاضبًا.

عمر في طريقه إلى القدس:

وصل عمر في كوكبة من أصحابه وقادة جيشه إلى القدس، وعندما اقترب من المدينة أشار عليه بعض أصحابه قائلاً: «اترك جملك هذا يا أمير المؤمنين واركب حصانًا؛ إذ لا يليق أن يراك البطرك والقساوسة على حالة أعرابي قادم من قلب الصحراء».

فركب عمر بضع خطوات، ثم صاح قائلاً: «أنزلوني وهاتوا جملي»، فلمَّا سأله الناس عن سبب ذلك قال: «إن الحصان يرقصُ في مشيته».

ويضرب عمر المثل تلوَ المثل لأصحابه، فيكون قدوةً طيبة لا ترغبُ في نعيم الدنيا، فبين يديه السلطان والجاه، ولكنَّه يتعفف عنه، ويُبين للناس أنه: «لا شيء له اعتبارٌ غير العمل الصالح وتقوى الله».

وفي الطريق مرَّ عمر على مخاضة، فخلع نعليه وخاضها، فقال له أبو عبيدة: «ما أود أن يراك الناس هكذا»، فقال عمر: «أوَّاهُ لو قالَها غيرُك يا أبا عبيدة، لَجَعَلْتُهُ نكالاً لأمة محمد ﷺ».

ثم أردف قائلاً: «إنَّا كنَّا أذلَّ قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما طلبنا العزة بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله».

نعم، لا شيء له اعتبارٌ غير العمل الصالح وتقوى الله، نعم، إنَّ عزَّة المسلمين تكمن في تمسكهم بدينهم.

عمر في ضيافة أبي عبيدة:

ويستضيف أبو عبيدة عمر في بيته؛ تلبية لرغبة عمر،

فلما دخل داره لم يجد فيها إلاَّ فراشًا متواضعًا، وسيفه يُزين الجدار، وقربة بها ماء؛يشرب منه ويتوضّأ للصلاة، فابتسم عمر قائلاً: «ألم تتخذ لنفسك أثاثًا غير ما أرى» .

قال أبو عبيدة ﷺ : «ما بي حاجة إلى غير ما ترى يا أمير المؤمنين. هذا يبلغنا المقيل – الجنة – » .

فقال عمر متعجبًا: «كلهم غيرتهم الدنيا إلاَّ أنت يا أبا عبيدة» .

مسجد عمر:

ودخل عمر القدس، وكتب عقد الأمانة مع البطرك متعهداً فيه بالحفاظ على تراث المدينة وكنائسها وحقوق أهل المدينة، ودخل عمر كنيسة القيامة، وحان وقت صلاة الظهر، فقال عمر: «أريد أن أُصلي» .

فقال البطرك: صلِّ هنا يا أمير المؤمنين .

فقال عمر: «لا أُصلي في الكنيسة أبداً، لو صليت فيها، جاء المسلمون بعدي وصلُّوا فيها وقالوا: هنا صلَّى عمر بن الخطاب، وجعلوها مسجداً» .

ثم قـال للبطرك بعـد أن صلَّى خـارج الكنيـسـة : « دلني على مكان يبني في المسلمون مسجداً » .

فقال له البطرك : « فوقَ صخرةِ يعقوب » .

وبنى المسلمون مسجداً وسَموه : « مسجد عمر » ، وعاد عمر إلى المدينة وقد حمد الله وشكر نعمائه على هذا النصر العظيم .



في بلاد الشام

فتح اللاذقية :

وواصل أبو عبيدة فتوحاته العظيمة، وقد أصبح قائداً لجيش الفتح الإسلامي؛ فتوجَّه إلى اللاذقية، وكانت ذات حصون منيعة يأتيها خير وافر عن طريق البحر، ولها القدرة على تحمل الحصار، ولما اقترب جيش المسلمين منها أُغلقت أبوابها، وظلَّ جيش المسلمين يُحاصر اللاذقية، ولكن دون جدوى لمناعة الحصون وقفل الأبواب وارتفاع الأسوار وعلوها.

وفي ليلة فكَّر أبو عبيدة أن يُزيل آثار الحصار، ويختبئ هو وجنوده في حُفَرٍ عميقة تحمي الفارس وفرسه؛ حتى يظن الروم أن المسلمين قد تركوا حصارهم للمدينة ومضوا، وقد نجحت الخطة، فما إن أصبح اليوم التالي حتَّى استيقظ جُند الروم ولم يجدوا للمسلمين أثراً حول المدينة ففتحوا الأبواب وانطلقوا إلى حقولهم وأعمالهم، وفي لحظات هبَّ جند المسلمين من مخابئهم وانطلقوا نحو الأبواب والأسوار

واقتحموا المدينة، فكانت مفاجأة أسقط على إثرها في أيدي الرومان، فأعلنوا استسلامهم .

وأعلن التاريخ لحظة ناجحة لقائد ناجح وجنود مخلصين لعقيدتهم ودينهم الحنيف .

وانطلق أبو عبيدة من موقع إلى موقع ومن ثغرٍ إلى ثغر، يفتح حصنًا ويتسوَّر أسوار الجاهلية، حتَّى أضاء بلاد الشام بالنور العظيم، ولم يفتح بلادهم فقط، وإنَّما فتح العيون والقلوب والبصائر على مواضع الهداية، وشرائع الحق التي ملأت الأرض عدلاً، وداست الجاهلية والشرك بأقدامها، وسعد أهل البلاد المفتوحة بعدل الجند الفاتحين وقادتهم، ومتعوا أنفسهم وذويهم بالدخول في دين الله أفواجًا .



مواقف ومآثر عظيمة

أرسل عمر إلى أبي عبيدة ﵁ بأربعة آلاف درهم، وقال للرسول – كعادة أمير المؤمنين – : «انظر ماذا يصنع بها» .

فقسَّمها أبو عبيدة ﵁ بين الفقراء والمحتاجين، ثم أرسل بمثلها إلى معاذ ﵁ فقسَّمها، إلاَّ شيئًا قليلاً قالت امرأته : نحتاج إليه .

فلمَّا أخبر الرسول عمرَ قال : «الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا» .

هكذا كان الرجل أمينًا ، ولا عجب؛ فقد سمَّاه النَّبي ﷺ : «**أمين هذه الأمة**» .

مثلث عمر (أبو عبيدة - معاذ - حذيفة ﵃) :

ومن شدَّة حبٍّ الفاروق عمر ﵁ لأبي عبيدة أنه قال لأصحابه ذات يوم : «تمنوا» .

فقال أحدهم : «أتمنى أنْ يكون ملءُ هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله» .

فقال عمر رضي الله عنه مرةً أخرى: «تمنوا».

فقال رجلٌ آخر من أصحابه: «أتمنى أن يكون ملءُ هذا البيت ذهبًا، فأنفقه في سبيل الله».

فأعاد عمر رضي الله عنه أمره مرةً ثالثة، وقال: «تمنوا».

قال رجل ثالث من أصحابه: «أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهرًا أو نحوه، فأُنفقه في سبيل الله».

فقال عمر رضي الله عنه للمرة الرابعة: «تمنوا».

فقالوا: «ما تمنينا بعد هذا».

قال عمر: «لكنَّى أتمنَّى أن يكون ملءُ هذا البيت رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله».

ويضيف عمر قائلاً: «لكني أتمنَّى بيتًا ممتلئًا رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح».

وكان أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يسير في المعسكر فيقول: «ألا رُبَّ مبيض لثيابه، مدنس لدينه.. ألا ربَّ مكرِّم لنفسه وهو مهين لها، بادروا بالسيئات القديمات الحسنات الحديثات».

أبو عبيدة رضي الله عنه يستقبل سفير الروم :

ومن مواقفه العظيمة ما كان بينه وبين الرومي، فقد بعث الروم رجلاً يعرض الصلح على المسلمين، وحضر الرجل وكان طويلاً، أشقر اللون، يلبس ملابس ثمينة غالية الثمن، فلمَّا أقبل على المسلمين لم يهتموا به، ولم يؤخذوا بمظهره، فصاح فيهم: «أين أميركم» ، فقالوا له: «هو ذا»، وأشاروا إلى أبي عبيدة، وكان يجلس على الأرض معهم، فاتَّجه له مبعوث الروم ودار بينهما الحوار التالي:

الروميُّ: هل أنت أمير الجيش؟.

أبو عبيدة رضي الله عنه: أنا قائد جيش المسلمين .

الرومي: ما يجلسك على الأرض؟ وهل إذا جلست على وسادة أو على بساط يحُطُّ هذا من قدرك؟

أبو عبيدة رضي الله عنه: ليس عندي وسادةٌ أو بساطٌ أجلس عليه؛ فنحن عبيد الله نمشي على الأرض، ونجلس على الأرض،وليس بناقصنا أجرًا أو مكانة، فهلمَّ حاجتك» .

فرقَّ الرومي وتأثر بهذا الموقف تأثرًا شديدًا، فعاد يصف

قائد جيش المسلمين إلى قومه ويوضح لهم صعوبة الانتصار على جماعة يستوي عندهم السيد بالمسود.

ومن مآثره رضوان الله عليه أنَّه سمع من أهل الشام، ومن جنوده الذين يُحاربون تحت إمرته كثيراً من الثناء عليه والافتتان به؛ فجمعهم وقال لهم: «أيها الناس، إني مسلم من قريش، وما منكم من أحدٍ أحمر ولا أسود يفضُلني بتقوى الله إلاَّ تمنيت أن أكون مثله».

هكذا ضرب أبو عبيدة مثلاً للناس في التواضع، وكرم النفس وطيبها عندما اقتدى بمن هو أتقى المسلمين وأصلحهم..

ولا تنتهي مآثر أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، وإنما قطفنا منها القليل؛ كي لا يكون إيجازاً في السيرة العطرة مخلاً بحقها ومكانتها السامية.

رحم الله أبا عبيدة بن الجراح .. أمين هذه الأمة.



وداعًا أمين الأمة

رحلة الوداع :

وفي العام السابع عشر من الهجرة دهم بلاد الشام طاعون ما عرف الناس مثله قط؛ فجعل يحصد الناس حصداً، فما كان من عمر بن الخطاب إلاَّ أن وجَّه رسولاً إلى أبي عبيدة برسالة يقول فيها :

«إني بدت [١] لي إليك حاجة لا غنى لي عنك فيها، فإن أتاك كتابي ليلاً، فإني أعزم عليك [٢] ألاَّ تُصبح حتَّى تركب إليَّ، وإن أتاك نهاراً فإني أعزم عليك ألاَّ تمسي حتَّى تركب إليَّ» .

فلمَّا أخذ أبو عبيدة كتاب الفاروق قال : «قد علمت حاجة أمير المؤمنين إليَّ؛ فهو يريد أن يستبقي من ليس بباق» .

ثم كتب يقول : «يا أمير المؤمنين، إني قد عرفت

---

(١) **بدت** : ظهرت .

(٢) **أعزم عليك** : أطلب منك بإلحاح وقوة، وأُقسم عليك .

حاجتك إليَّ، وإني في جند من المسلمين ولا أجد رغبة عن الذي يصيبهم، ولا أريد فراقهم حتَّى يقضي الله فِي وفِيهم أمره.. فإذا أتاك كتابي هذا فحللني من عزمك واءذن لي بالبقاء».

الموت منه قريب :

فلما قرأ عمر الكتاب بكى حتَّى فاضت عيناه، فقال له من عنده - لشدَّة ما رأوه من بكائه - : «أمات أبو عبيدة يا أمير المؤمنين» .

فقال: «لا، ولكن الموت منه قريب» .

ولم يكذب ظنَّ الفاروق، إذ ما لبث أبو عبيدة أن أُصيب بالطاعون.

وصايا أمين الأمة :

فلمَّا حضرته الوفاة أوصى جنده فقال: «إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير:

أقيموا الصلاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدَّقوا، وحجوا واعتمروا، وتواصوا، وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم، ولا

تلهكم الدنيا؛ فإن المرء لو عُمِّر ألف حَوْلٍ ما كان له بُدٌّ من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي ترون، والسلام عليكم ورحمة الله..»، ثم التفت إلى معاذ بن جبل ﷺ وقال: «يا معاذ، صلِّ بالناس[١]».

ثم ما لبث أن فاضت روحه الطاهرة..

فقام معاذ وقال: «أيها الناس، إنكم قد فجعتم برجل -والله- ما أعلم أني رأيت رجلاً أبر صدرًا، ولا أبعد غائلة[٢]، ولا أشد حبًا للعاقبة، ولا أنصح للعامة منه، فترحموا عليه يرحمكم الله».

اللهم ارحم أبا عبيدة.. اللهم ارحم أبا عبيدة..



(١) **صلِّ بالناس**: كن إمامهم.
(٢) **غائلة**: جمعها غوائل، وهي الشر والحقد الباطن.

تحليل وفوائد

[١] صفات مهمة في شخصية الداعي إلى الله:

لقد تميّز أبو عبيدة ﷺ بالحلم، والتواضع، والحياء، والرفق، واللين، وطلاقة الوجه، وحسن الخلق، والصدق، والإقدام، والبطولة، والشجاعة، والقوة في الحق، والشدة على الباطل.

[٢] علو الهمة في الدعوة إلى الله :

فهذا الصديق ﷺ في اليوم التالي لإسلامه يأتي ومعه عدداً من الرجال يسيرون في جنح الظلام يقصدون النبي ﷺ فأسلموا وكانوا القواعد الأولى التي أقيم عليها صرح الإسلام.

[٣] مع بداية التزام الحق يبدأ البلاء:

فهي سنة كونية ماضية، قال ورقة بن نوفل للنَّبي ﷺ : «ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك» .

فقال النَّبي ﷺ : «**أوَ مخرجيَّ هم؟**» .

قال: «نعم، لم يأتِ أحد بمثل ما جئت به إلاَّ عُودي».

وأنت أخي الحبيب: مع أولى خطوات الالتزام الصادق، ربما تجد حربًا لا هوادة فيها من أعز وأقرب الناس إليك.. بدعوى أنهم يريدون لك المصلحة.. يحاربون اللحية، يحاربون ثوبك الذي تلبسه، يحاربون أصدقاءك الجدد، يقطعون لك الكتب أو يحرقونها.. في محاولة يائسة - إن شاء الله - لردك عن طريق الالتزام.

يوفرون لك أشرطة الڤيديو.. والتلفاز.. وتذاكر السينما، والمال.. مقابل ترك الالتزام، فماذا أنت صانع؟

اجعل قدوتك أصحاب رسول الله ﷺ.

إن أبا عبيدة أمام هذا كله لم يساوره شك في دينه، ولم يتردد، ولم يعر بالاً، ولم يأبه بهم ولم يضعف، ولم يترك الالتزام بدين الله ولا العمل من أجله.

[٤] أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾

[الممتحنة: ٤].

هذه العقيدة الواضحة الناصعة في الولاء والبراء تربَّى عليها الصحابة ﷺ، فضربوا أروع الأمثلة في التطبيق، ولقد قتل أبو عبيدة ﷺ أباه؛ لأنه وقف حائلاً بينه وبين تطبيق ما أمر الله به من حرب المشركين، ونشر الدين والمقام مقام حرب لا يسمح إلاَّ بما فعله أبو عبيدة ﷺ.

الولاء والبراء:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾

[المائدة: ٥٥، ٥٦].

من معاني *الولاء*:

الحب والرضا، والنصرة، والطاعة والمتابعة، والمعاونة والقيام بالأمر، والصداقة، ولوازم هذه الأمور: كالتشبه، والركون إليهم، وإظهار مودتهم..

هذه المعاني يجب صرفها لله ورسوله والمؤمنين، فيحب الله ورسوله والمؤمنين، ويرضى بطريقتهم وينصر دين الله بكل ممكن ومستطاع، وينصر السنة، وينصر كل مؤمن ظالم (بأن يمنعه من الظلم)، أو مظلوم ، ويطيع الله ورسوله وأولي الأمر من المؤمنين (العلماء والأمراء الذين يقودون الناس بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ) ويتابع طريقة المؤمنين، ويتشبه بهم ويهتم بشأنهم ويعاونهم على البر والتقوى، ويتخذ منهم دون غيرهم الأصدقاء والأخلاء..

وأما من أحب الكافرين على ما هم عليه من الكفر:

ورضى بملتهم وطريقتهم، ورأى أنها حق كما أن الإسلام حق، وكله سواء؛ فهو كافر مثلهم ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومن نصر الكفار:

بأن خرج في صفوفهم ضد المسلمين وحارب المسلمين مع الكفار؛ فهو مثلهم قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي**

الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [النساء: ٩٧]؛ فنزلت فيمن خرج مع المشركين ببدر إرضاءً لآبائهم.

ومثلها قول الله: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾ [النساء: ٨٨].

ومن أطاع الكافرين:

في كفرهم واتَّبعهم عليه ودخل في طاعتهم؛ فهو مثلهم ﴿ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٤].

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾

[النساء: ١١٥]

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ ﴾ [محمد: ٢٦].

وأما من أطاعهم في المعاصي وهو يُقر بمعصيته، أو تشبّه بهم مع علمه بخطئه فله نصيب من الشرك الأصغر إذ قال النَّبيُّ ﷺ: «**ومن تشبه بقوم فهو منهم**».

ومن اتخذهم أصدقاء وأخلاء:

فهو يقول يوم القيامة: ﴿**يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩)**﴾ [الفرقان: ٢٨، ٢٩] وكذا من نصح لهم وعاونهم على باطلهم ومنكرهم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١].

ومن هذا مشاركتهم في أعيادهم وتهنئتهم بها أو بمظاهر الشرك التي يفعلونها، ولقد ثبت نهي النَّبي ﷺ للأنصار عن اللعب في يومين من أعياد الجاهلية، وقال: «**إنَّ الله أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى**».

وليس من الموالاة:

البيع، والشراء، والإجارة مع الكفار فيما يحل مثله بين المسلمين، من غير مهانة للمسلم.. وكذا البر والإقساط لمن لم يقاتلنا في الدين..

وهناك فرق بين البر والصلة والعدل معهم بشرع الله وبين المحبة والموالاة التي هي من أعمال القلب أصلاً، ومن هذا أيضًا قبول الهبة منهم إذا لم تتضمن شعارًا لباطلهم، وإهدائهم تأليفًا لهم أو دفعًا لمفسدتهم أو لمصلحة أخرى راجحة .

ومثله عيادة مريضهم أو دعوته إلى الإسلام، وزواج الكتابية، مع بغضها على دينها.

وكذا الاستعانة بهم في مصالح المسلمين، دون أن يكون لهم سلطة على المسلمين؛ فكل ذلك قد فعله النَّبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.

[فتوى]

ما حكم الاحتفال بأعياد المشركين كرأس السنة وشم النسيم؟

أما تهنئة النصارى بأعيادهم أو اليهود، فحرام باتفاق أهل العلم؛ كما ذكر ذلك ابن القيم – رحمه الله – في كتاب «أحكام أهل الذمة» وإليك نص كلامه:

«وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق،

مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه؛ فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثمًا عند الله وأشد مقتًا من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام (الزنا) ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل» اهـ. والله أعلم.

[٥] المبادرة ..المبادرة إلى أبواب الخير:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فرُحتُ إلى صلاة الظهر مبكرًا، وإني ما أحببت الإمارة حبي إياها يومئذ؛ رجاء أن أكون صاحب هذا النعت (القوي الأمين)».

[٦] العمل لله بعيداً عن الأضواء:

فلم يكن أبو عبيدة في يوم من الأيام راغبًا في زعامة أو سلطان، ولكن كان حريصًا أن يكون عمله لله وحده.

[٧] ضعف الإمكانات لا يكون عائقًا لتنفيذ الطاعات:

فها هو أبو عبيدة يقود جيشًا زاده جراب من تمر، فكان

الإنفاق بقدر سد الحاجة أو أقل؛ فقد كان نصيب كل واحد تمرة واحدة في اليوم؛ يمصها ويشرب عليها الماء.

[٨] حب الصحابة للنبي ﷺ وتعظيمهم لأمره :

فقد كان أبو عبيدة أحد النفر العشرة الذين أحاطوا بالرسول ﷺ ليذودوا عنه بصدورهم رماح المشركين.

ونحن الآن يجب علينا أن ندافع عن سُنَّة النبيّ ﷺ ونُبيّن للناس حجية السُّنَّة، وأنه لا يجوز تركها والعمل بالقرآن وحده..، ويجب علينا أن نعيش بالكتاب والسنة كما كان الصحابة ﷺ .

[٩] الدين النصيحة:

لقد كان أبو عبيدة خير نصيح وأكرم معوانٍ على الخير؛ فقد نصح لأبي بكر وعمر ﷺ ، ويجب علينا أن ننصح لإخواننا في الله، وللمسلمين عامة.

[١٠] سلامة قلوب أصحاب النبي ﷺ :

«لن ترَ مني إلاَّ ما يسر، ولن يرَ مني أبو بكر إلا ما يرضيه» .

لن نصل إلى سلامة القلب إلاَّ إذا كان عملنا لله عز وجل.

[١١] الإخلاص أقوى أسباب الانتصار:

كتب أبو بكر كتابًا لخالد ﷺ قال فيه: «سر حتَّى تأتي جموع المسلمين باليرموك، ولتهنأك أبا سليمان النية والخطوة، ولا يدخلنك عُجبٌ فتخسر وتُخْذَل». وهكذا القائد الرباني يُذكِّرُ جنوده بأقوى أسباب النصر .. بالإخلاص.

أخي الحبيب: فليُذكِّر بعضنا بعضًا بالإخلاص في كل أمورنا، وليحرص كل منَّا على تحري الصدق والإخلاص والتجرد لله عز وجل.

[١٢] البذل والتضحية في سبيل نصرة دين الله:

فقد قطع خالد بن الوليد طريقًا وعرًا شديد الخطر؛ ليصل بسرعة إلى جيوش المسلمين لنجدتهم.

فماذا أنت فاعل في سبيل دين الله؟ ما هو بذلك؟ وما هي تضحيتك؟

أخي: لابدَّ لي ولك من إسهامٍ حقيقيّ لنصرة ديننا

الحنيف، وليكن هذا الإسهام بقدر المستطاع الآن، والله عليك رقيبٌ، والله المستعان.

[١٣] التجرد لله من أسباب سلامة القلوب:

لقد استوى الأمر عند أبي عبيدة أن يكون جنديًا أو قائدًا، كما استوى كذلك عند خالد رضي الله عنهما، وما ذاك إلاَّ لأن قلوبهم مخلصة لله، تعمل لدين الله.

[١٤] خالد رضي الله عنه يَضْرِبُ أروعَ مثالٍ في الجندية:

«جزاك الله عني خيرًا، واعلم يا أبا عبيدة أنِّي جنديٌّ من جنودك، ويتساوى الأمر لدي سواء أكنتُ أميرًا للجيوش أو جنديًا فيها..».

[١٥] كلمات الإخلاص والتجرد أثمن من الذهب:

«ووالله ما للدنيا نعمل، ولا سلطان الدنيا نريد، كلنا في الله إخوة»، «أنا لا أُقاتل من أجل عمر».

أخي الحبيب: ليكن عملك لله تعالى، لدينك.. لدعوتك.. لعقيدتك.. وتذكَّر دائمًا قول خالد رضي الله عنه وأنت تعمل: «أنا لا أُقاتل من أجل عمر».

يجب ألاَّ يتعلق العمل بالأشخاص، ولا أن يكون العمل للأشخاص أو الأحزاب، فما كان لله دام واتَّصل، وقل لنفسك: «أنا لا أعمل من أجل فلان»، واصبر واحتسب.

[١٦] براعة أبو عبيدة فى ميدان القتال:

ومن ذلك خطته العسكرية لفتح اللاذقية.

[١٧] تواضع القائد:

فقد وصل عمر راكبًا جملاً مرتديًا جلبابًا مرقعًا، وفي رجليه نعل سميك.

[١٨] حرص القائد علي وضوح الهوية الإسلامية:

فقد عاب عمر على رجال جيشه أن يظهروا أمامه متشبهين في زيهم بالأعاجم، فقال: «أهكذا تقابلون أمير المؤمنين، وأنتم في ترف الأعاجم وأبهتهم؟! لقد أفسدتكم الفتوحات وأفقدكم المال مظاهر المسلمين».

[١٩] لا شيء له اعتبار غير تقوى الله والعمل الصالح:

ما أعظم أن نردد هذا الشعار ونعمل به: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**».

[٢٠] إنا كنّا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام:

فمن أراد العزة والكرامة ورفع الراية فعليه بالإسلام هيا بنا نعيش بالإسلام وللإسلام؛ وحينئذ نرتقب النصر إن شاء الله «إن عزَّة المسلمين تكمن في تمسكهم بدينهم» .

[٢١] زهد الصحابة ﭫ :

ومع كثرة المال في أيدي الصحابة لم يتَّخذ أبو عبيدة لنفسه أثاثًا في بيته غير قربة ماء، وفراشًا متواضعًا، وسيفه الذي يزين الجدار، لم يهتم أبو عبيدة بزخرف الدنيا وزينتها، ولم تدخل الدنيا قلبه رغم أنها كانت في يده، ولذا قال عمر ﭬ متعجبًا: «كلهم غيرتهم الدنيا إلاَّ أنت يا أبا عبيدة» .

[٢٢] عمق فهم الصحابة وبعد نظرهم:

فهذا عمر يتمنى بيتًا ممتلئًا برجال مثل أبي عبيدة، وهذه عملة نادرة، بل نادرة جداً، وحين يجدها من يستعملها في طاعة الله فقد فاز، اللهم ارزقنا برجال مثل أبي عبيدة .

[٢٣] المراقبة المراقبة .. المحاسبة المحاسبة :

« ألا رُبَّ مبيض لثيابه مدنس لدينه، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين » .

هيًا بنا نهتم بقلوبنا، بنقائها، بإخلاصها، بتقواها لربها .

[٢٤] ما تواضع أحد لله إلا رفعه :

« ليس عندي وسادة أو بساط أجلس عليه؛ فنحن عبيد الله نمشي على الأرض، ونجلس على الأرض، وليس بناقصنا أجرًا أو مكانة » .

[٢٥] شدة حب الصحابة لبعضهم مع سلامة صدورهم ﷺ :

فهذا أبو عبيدة ﷺ يقول : « قد علمت حاجة أمير المؤمنين، فهو يريد أن يستبقي ما ليس بباق » .

وقد أرسل له عمر : « أعزم عليك ألاَّ تمسي حتَّى تركب إليَّ » ، لقد كان عمر خائفًا أن يُصاب أبو عبيدة بالطاعون، وقد كان .

[٢٦] الوفاء وحسن الصحبة:

لم يحاول أبو عبيدة أن يركب طائرة أو جملاً ويفر من

الطاعون ويترك الجنود تهلك، ولكن من حسن عشرته ومعايشته لهم قال لعمر: «وإني في جند من المسلمين ولا أجد رغبة عن الذي يصيبهم ولا أريد فراقهم، حتَّى يقضي الله في وفيهم ما يشاء» .

[٢٧] الحرص على النصيحة حتى الممات:

وفي لحظات الاحتضار يوصي أبو عبيدة الأمة بالصلاة والصيام والنصح للأمراء، وينهاهم عن الغش ويحذرهم من الدنيا، ويؤكد لهم أن الإنسان مهما طال به العمر فإنه إلى نهاية .



الخاتمة

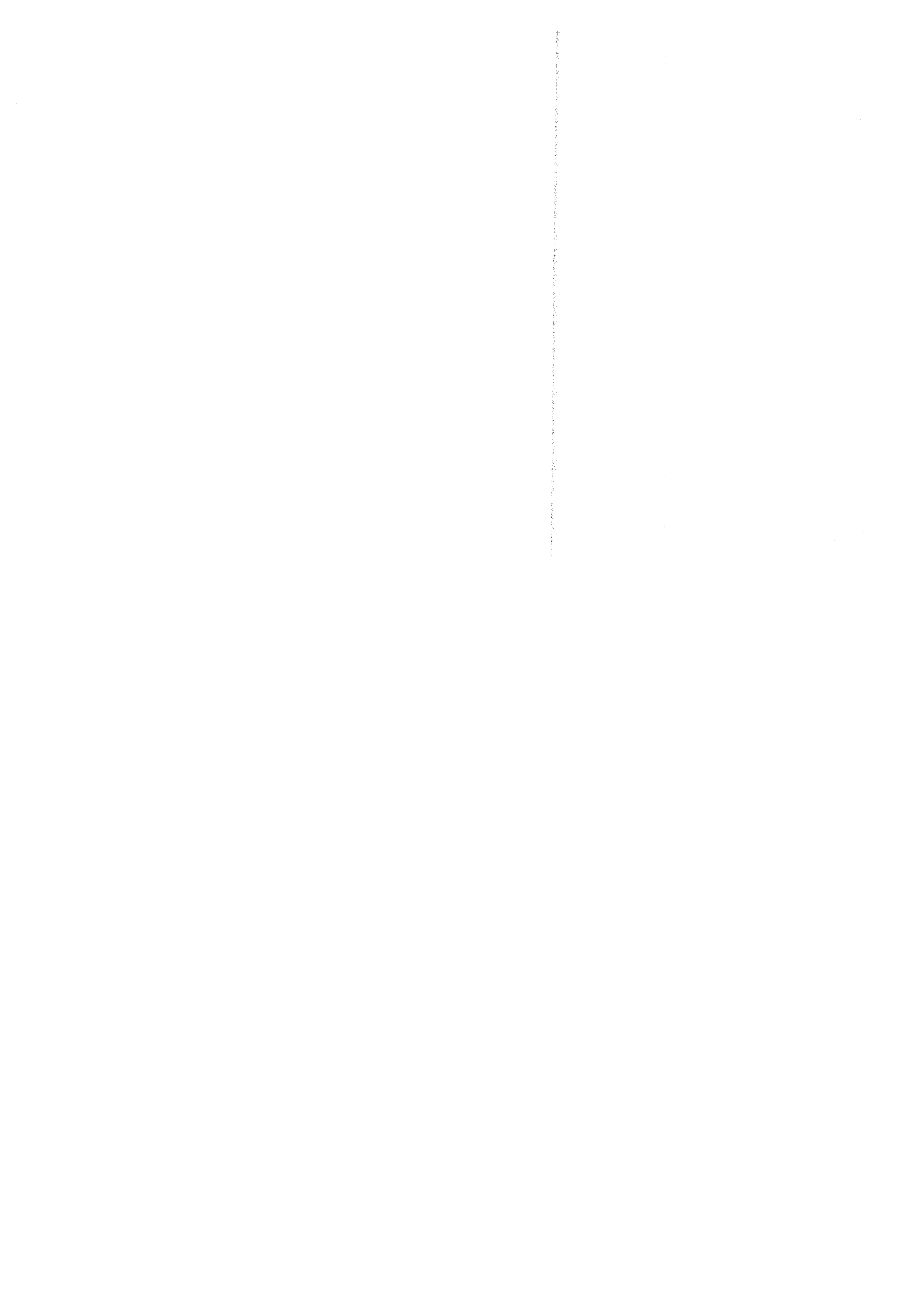
وختامًا فإن هذا الجيل هو جيل النصر المنشود الذي به تتحرر القدس والشيشان وكشمير والعراق، بل ويتحرر المسلمون من ذل وقيد التبعية لعدوهم، ذلك الجيل الذي تُرفع به راية الله في أرض الله، ويكون الدين كله لله.

هذا الجيل هو الجدير بأن يتنزل عليه نصر الله وأن يكون كل شيء في الوجود مسخَّر لنصرته حتَّى الشجر والحجر يقول: «**يا مسلم يا عبد الله هذا عدوك خلفي تعالى فاقتله**».

أخي الحبيب: هيَّا بنا نتكاتف جميعًا متعاونين على البذل في سبيل الله، نفكر في إسهام حقيقي منَّا لديننا الحنيف حتَّى تعود أمتنا للذرى.

جدد العهد وجنبني الكلام   إنَّما الإسلام دين العاملين
لا تقل ينقصنا سيف ومال   فبصدق العزم يعلو كل دين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين




فهرس



فهرس